

إيمان ملال

أستاذ محاضر (أ)

جامعة عباس لغرور خنشلة

الإيميل: imenmellel@gmail.com

المحور الرابع: أدب الطفل والصيغة النفسية (دوره في تلبية

الحاجات النفسية عند الطفل العربي).

عنوان المداخلة: "سيكولوجية التكوين وبناء الذات عند الطفل -

الحكاية الشعبية أنموذجاً".

تمثل الطفولة مرحلة من مراحل السنوات التطورية (النمو) التي تبدأ من لحظة الولادة وتستمر حتى سن البلوغ، فهي مرحلة حتمية طويلة يمر بها كل مولود بشري، ينمو ويتكون وينشئ فيها جسميا وفيزيولوجيا وحسيا وحركيا وعقليا ولغويا ونفسيا واجتماعيا ودينيا في أسرته وفي محيطه الاجتماعي الذي يعيش فيه.

ميز علماء النفس الطفل، بتخطيه ثلاث مراحل تجسد مفهوم الطفولة وهي كالتالي:

- 1- الطفولة الأولى (المبكرة): وتبدأ من سن الوضع إلى السنة الثالثة من العمر.
- 2- الطفولة الثانية (الوسطى): وتبدأ من السنة الثالثة إلى السنة السابعة من العمر.
- 3- الطفولة الثالثة (المتأخرة): وتبدأ من السنة السابعة وتنتهي عند سن البلوغ وهذا الأخير حدد من سنة 12 إلى 16 سنة.(1)

وفيما يلي رصد لأهم مظاهر التكوين النفسي والاجتماعي لكل مرحلة.

مظاهر النمو		الفئة العمرية
الانفعالي	اللغوي	
تتميز سلوكيات الطفل في هذه المرحلة بالشدة وبالمبالغة فيها، فقد يغضب وينتقل بسرعة من انفعال إلى آخر من البكاء إلى الضحك ثم إلى البكاء وهكذا.	يزداد في هذه المرحلة التحصيل اللغوي ازديادا ملحوظا في التعبير والفهم.	مرحلة الطفولة الأولى من 02 إلى 06 سنوات
تتهذب انفعالاته نوعا ما في هذه الفترة لكنه لا يصل إلى مرحلة النضج الانفعالي، حيث يستمر في التعبير	يكتسب الطفل في هذه المرحلة من الكلمات الكثير، تبلغ في الغالب أكثر من 3000 كلمة	مرحلة الطفولة الثانية

<p>عن بعض حاجاته عن طريق استخدام انفعال الغضب والعناد والغيرة، وبالتدرج ينتقل إلى الثبات وإلى الاستقرار الانفعالي.</p>	<p>ومع الدخول المدرسي يتعلم اللغة وتزداد المفردات التي يتحصل عليها بحوالي 60%.</p>	
<p>يلاحظ في هذه المرحلة ثبات واستقرار انفعالات الطفل، فهو يميل إلى الهدوء، لذلك سمى بعض الباحثين هذه المرحلة بمرحلة الهدوء الانفعالي، كما يقل فيها انفعال الخوف.⁽²⁾</p>	<p>يزداد في هذه المرحلة تقدم النمو اللغوي، حيث يزداد عدد المفردات التي يكتسبها الطفل والتي يستخدمها في المدرسة وفي البيت كما يدرك معانيها.</p>	<p>مرحلة الطفولة الثالثة</p>

كانت هذه بعض أهم المحطات التي تتشكل عند كل طفل، لتأتي بعدها مرحلة الاهتمام الذي توفره العائلة والمجتمع بهذا الكائن الذي نأمل أن ينشأ وفق منظومة عقائدية، وسلوكية، ولغوية سليمة، وفيما يلي نعرض بإيجاز أهم الحاجات التي لا بد أن تتوفر عند الطفل.

1- الحاجة إلى الأمن: وتكمن الفائدة من هذه الحاجة إلى شعور الطفل بالأمن والطمأنينة والانتماء إلى الجماعة في الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء في المجتمع.

2- الحاجة إلى الحب والمحبة: تعد هذه الحاجة الانفعالية العاطفية من أهم الحاجات التي يجب توفرها وإشباعها للطفل، إذ يرغب في أن يشعر بأنه محبوب مرغوب فيه وهي لازمة صحية يجب أن ينشأ عليها الطفل (لأن عدم توفرها ينجر عنها اضطرابات سلوكية في مراحل متقدمة من عمره).

3- الحاجة إلى التقبل والتعاشيش الاجتماعي: هي حاجة تجعل الطفل يشعر بأنه موضع قبول وتقدير واعتبار من الآخرين، فيقبل على الحياة بشكل أفضل.

2- ينظر: عبد الرحم بن الوافي، مدخل إلى علم النفس، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2006، ص145-

4- الحاجة إلى إبراز الذات وتأكيدهما: يميل الطفل غالبا إلى التعبير عن نفسه والإفصاح عن كينونته وشخصيته، ويبدو ذلك في كلامه وأعماله وألعابه وما يقدمه من خدمات للآخرين، حتى وإن كانت بسيطة، فهو يشعر بالفخر بنفسه.

يحتاج الطفل إلى التعلم واكتساب مهارات جديدة، سواء لغوية، سلوكية أو جسمية وغيرها من مواطن التميز الذي نستشعره في الطفل، ولهذا دأب بعض الباحثين إلى الدخول إلى عالم الطفل، كتابة ورسمنا ونحتا، بكل ما يحمله هذا العالم من صعوبات تعيق الباحث في الوصول إلى فكر الطفل وأسلوبه، وعالمه ككل. وهذا هو موضوع مداخلتني التي سأركز فيها على أدب الطفل وتأثيره على سلوكياته الظاهرة والباطنة، وكيف ينمي فيه قدرات إيجابية في أسرته ومدرسته ومجتمعه أيضا.

2- مفهوم أدب الطفل

قبل الحديث عن أدب الطفل وتحديد مفهومه، لابد من الوقوف عند كلمتي "أدب" و"طفل"، لتحديد هذه المصطلحات التي لونت هذا اللون من الأدب والوقوف على معناها: الأدب هو تعبير عن الحياة والفكر والوجدان، وهو من أهم الوسائل التي ينبغي استغلالها بشكل إيجابي في تربية الأطفال. "إنه رسالة تقدم لخدمة الإنسانية موجه لفته معينة"،⁽³⁾ - وهم الأطفال - الذين يختلفون عن الكبار من حيث القدرات العقلية، الجسمانية، السيكولوجية، وحتى الوجدانية، ولقد تظن أسلافنا لأهمية الأدب وعرفوا مكانته وتأثيره، واستخدموه في الأوقات الصعبة (خاصه وقت الحروب) أحسن استخدام، و"قد مر الأدب منذ الجاهلية إلى الآن بتعريفات مختلفة تتلاءم مع الزمان والمكان وروح العصر حتى غدا فنا قائما بذاته... فالأدب هو فن الكلمة وهو المكتوب والمنطوق من الكلام الجميل، وهو المتعة والمنفعة".⁽⁴⁾ فالأدب إذن هو مؤسسة اجتماعية أدواته اللغة، هذه الأخيرة التي تميز بين أدب الكبار وأدب الطفل وتخضع لخصوصية كل مرحلة.

3- مفهوم الطفولة

3- مجلة آفاق، مجلة دورية يصدرها اتحاد كتاب المغرب، المغرب، العدد 28، 1988، ص52.

4- أحمد سويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ص74.

هي المرحلة الأولى من عمر الإنسان، وتبدأ من الولادة وتنتهي عند البلوغ، لقوله تعالى: "وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ". (5) ويقول أيضا: "ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ". (6)

الطفل هو الولد حتى البلوغ، وهو "المولود مادام ناعما رخصا"، (7) ويستوي فيه الذكر والأنثى، والجمع أطفال، الطفل والطفولة: الصغيران، الطفل الصغير من كل شيء، وهذا التحديد لمرحلة الطفولة يلتقي مع التحديد الحديث له، إذ أن الطفل هو الولد أو البنت في المرحلة المحددة ما بين الولادة والمراهقة، و"هذا الالتقاء يجعلنا نتأكد من عدم تغيير الخصائص البيولوجية التي تميز مرحلة الطفولة، في حين تتعرض الخصائص النفسية والاجتماعية والثقافية والسلوكية واللغوية إلى التغيير؛ الأمر الذي دعا إلى إعادة النظر في هذا المخلوق وفق هذه المتغيرات". (8)

بناء على ما سبق ينادي أحمد زلط إلى ضرورة التمييز بين النتاج الفكري من الطفولة والنتاج الأدبي الموجه لهم، ويلح على إعادة النظر في التمييز بين هذين النتاجين خاصة وأن أدب الطفل له آثاره الإيجابية في تكوين وبناء شخصيتهم وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة، لاسيما وأن الطفل هو الإنسان في أدق مراحل وأخطر أطواره ومن ثم فإن الاهتمام بالجانب النفسي والوجداني يتعين أن لا يعلوه أي اهتمام آخر.

4- أدب الطفل في بناء الشخصية السوية

عندما أصدر أحمد شوقي ديوان "الشوقيات" في طبعته الأولى، دعا في مقدمته إلى قيام أدب الطفل مقرونا بالحكايات والقصص الشعرية للأطفال، وظلت أصدا هذه الدعوة حتى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين تقريبا تدور في فلك الاتجاه التعليمي، باستثناء معظم حكايات أحمد شوقي للأطفال التي اتخذت الأدب الرمزي إلى جانب الإطار التعليمي،

5- سورة النور، الآية 59.

6- سورة غافر، الآية 67.

7- عبد العزيز عز الدين السيروان، المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، ص 82.

8- أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 2، 1998، ص 16.

و"في عام 1930 بدأ مصطلح أدبيات الطفل يظهر في الدوريات العربية، في عناوين المقالات، وقبل هذا التاريخ كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصارا يكاد يكون تاما على الأغراض التعليمية".⁽⁹⁾ ولهذا يمكن أن نجد لأدب الأطفال مفهوميين رئيسيين:

* أدب الأطفال العام: وهو الذي يعنى بالإنتاج العقلي المدون في كتب مخصصة للأطفال في شتى مجالات المعرفة.

* أدب الأطفال الخاص: ويعني الكلام الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية، ويلبي حاجاتهم النفسية (كانتصار الجمال على القبيح، والخير على الشر)، وغيرها من القيم الجمالية والأخلاقية التي يجب أن تترجم في فنون أدب الطفل.

5- أدب الطفل والتوازن النفسي

أكدت نظرية التحليل النفسي لسيغموند فرويد على أن للتجارب المبكرة ودوافع اللاوعي دورا هاما في تنمية الشخصية الطفلية، حيث يتم "إقصاؤها من الوعي الشعوري إلى العقل اللاشعوري، ولا يزول تأثيرها حينها، بل تستمر في التأثير على سلوك الفرد لاحقا مما يؤدي إلى حدوث القلق والصراع النفسي"،⁽¹⁰⁾ ولهذا يلجأ بعض كتاب أدب الصغار إلى التركيز على البعد السيكولوجي للطفل في هذه المرحلة، وإعطائه حرية الخيال الإيجابي ليجنح إلى عالم الأحلام الذي يحقق فيه رغباته وآماله. من خلال الأجناس المختلفة، وسنرى بعضها في هذه الورقة البحثية.

6- فنون أدب الطفل

تعددت مجالات الكتابة الأدبية التي يفرغ فيها المبدع أحاسيسه وخبراته، من أهمها: الشعر، الأنشودة، المسرحية والقصة، هذه الأخيرة تلامس عاطفة الطفل كثيرا، فقد نشأنا على حب قصص سندريلا، فلة والأقزام السبعة، ذات الرداء الأحمر، وغيرها من القصص التي اندمجنا معها ونحن صغار، وما زال تأثيرها اليوم على أولادنا، نتيجة لما لها من أثر في نفسية (الطفل)، حيث تتسم بدرجة عظيمة في بناء شخصيته، وتنمية مداركه وقدراته، وتحقق

9- أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص27، 24.

10- سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، ص58.

له توازنا نفسيا وسلوكيا سليما، وسنعرض للون واحد من هذه الفنون ونرى كيف تسهم في تحقيق التوازن السيكلوجي في حياة الطفل.

6-1- القصة ودورها في تنمية عقل الطفل

لقصة الأطفال معنى يتخطى التسلية العابرة أو الإمتاع الطفولي، إنها نوع من العلاج النفسي وفن من فنون الاستثارة الداخلية. فالطفل أو المراهق قد لا يرى مشكلته بوضوح، فتأتي الحكاية وتبصره بواقعه وتقدم له حلا لمآزمه الداخلية أو لصعوباته الخارجية. وإذا كان هذا موقعها الفريد، فالواجب أن نتمدد إلى دراستها وتحليلها كما حصل في الغرب، عندما تصدى عدد من الباحثين إلى الحكايات الأوروبية، نذكر منهم **برونو بتلهاييم** في كتابه "التحليل النفسي للحكاية الشعبية"⁽¹¹⁾ الذي فضل فيه اقتحام عالم الحكاية الشعبية التي لا تقرب واقعا ذا بعد واحد، على الطفل أن يقبل به (كما هو الحال في القصص الواقعية) ويعمل بموجبه، بل تدغدغ خياله وتنشطه وتترك له حرية الفهم والاختيار، فتتميز بذلك حتى عن التربية الحديثة وخاصة الجنسية التي تريد أن تقنع الطفل بان الجنس طبيعي، في حين أن الطفل قد لا يكون مستعد لذلك بل يكون بحاجة إلى نفوره لحفظ توازنه النفسي والاجتماعي.

6-2- القصة الشعبية

القصة الشعبية أو ما يعرف في لغتنا اليومية "الحكاية"، أول ما نسمع هذه الكلمة يتبادر إلى أذهاننا حكايات قبل النوم، والأيام الممتعة وأحضان الأب والأم ودفء الشتاء، الحكاية بالنسبة لنا ماضينا وحاضرنا الممتع، فهي ذكريات طفولتنا وما نعيش عليه إلى الآن وهي ما سنقوم به مع أولادنا وأحفادنا مستقبلا، لذا فهي ممتدة معنا طوال حياتنا، وكل قصة تبني أو تغير شيئا ما بداخلنا، تغير من طباعنا أو من تفكيرنا أو تجعلنا ننشغل بشيء ما من الممكن أن يؤثر علينا في المستقبل، فالقصص تصنع عالما وتشكل شخصياتنا منذ الطفولة، وتجعلنا نعيش في عالما الخاص، لذا سأعرض هنا قصة للكاتب كرم البستاني الذي جمع عددا كبيرا من هذه الحكايات ودونها بشيء من التصرف أحيانا في كتاب عنوانه

11- برونو بتلهاييم، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، دار المروج للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985، ص16.

"حكايات لبنانية"،⁽¹²⁾ وسنختار من هذه المجموعة قصة طالما استهوت الأطفال، تشبه في تفاصيلها قصة سندريلا، وهي "لميس أميره بيروت"، قصة الفتاة الصغيرة التي تعيش مع أخواتها وزوجة أبيها، وهي دائماً تحت وطأة الخالة الشريرة التي تلزمها بالقيام بكل أعمال البيت الشاقة والتي لا تقوى فتاة في مثل سنها على فعلها، إلا أنها تنصاع لأوامرها وهي راضية مبتسمة في الظاهر، تتمتع أخواتها في المقابل بكل ما يمكن أن يتمتع به الطفل. تعرضت لميس إلى ظلم الأب بإيحاء من الخالة (زوجة الأب)، وطردت من المنزل الذي عاشت فيه، فتعاني أشد أنواع العذاب، حتى أنها تتعرض لمواقف كثيرة صعبة وخطيرة في الوقت نفسه. فكيف ستكون حالة الفتاة المنبوذة في ظل هذه الظروف، وهل تفقد ثقته بالفضيلة التي لم تعرفها عند أقرب الناس إليها وأحن مخلوق في هذه الدنيا بعد وفاة والدتها؟ تعلمنا هذه الحكاية أن الآباء أيضاً يخطئون، وقد يرتكبون جريمة في حق بناتهم وأبنائهم، غير أن الآلام الفظيعة قد تنقلب سعادة بعد قطع لأشواط القهر والظلم وتنقلب حتماً سعادة، ومتى ازدادت لحظات اليأس فاضت النعمة. لا بد لنا من التشبث بالأمل والحب والرجاء، كما فعلت لميس أميرة بيروت، فهذه هي مقومات الإنسان الفاضل، بل مقومات الحياة على مرارتها، "ولعل من الاضطهاد ما يقوي الشخصية، ولو بعد حين، وهذا ما يرسخ في لاوعي الطفل أثناء سماعه للقصة ونهايتها التي ستكون جميلة حتماً وسيحدد من خلالها الطريقة التي يتبع بها حاجته الفيزيولوجية والنفسية".⁽¹³⁾ وهو ما نطمح إليه من هذه القصص.

6-2-1- الصراع في القصة

يبتدئ الصراع في قصص الأطفال عندما يتعافل الإنسان الشريف أو النبيل عن النوازع الخبيثة التي تعتمل في باطن الإنسان الشرير أو الوضيع، إن فقصه الكبير في معرفة النفس البشرية يدفعه في رحلة مضنية العذاب والاضطهاد حتى يحصل على المعرفة المفقودة فتنتفي بذلك عوامل الصراع.

12- كرم البستاني، حكايات لبنانية، دار مارون عبود، بيروت، ط2، 1979.

13- ألفريد أدلر، سيكولوجيتك في الحياة كيف تحياها؟ ترجمة: عبد العلي جسماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

ط1، 1996، ص09.

يمهد الكاتب في قصته هذه إلى جملة من الصفات المتعارضة بين الخير والشر، والنبل والجشع والخساسة، أما لميس فهي رمز المثالية، فتاة تحب المطالعة وتهوى العلوم والأدب، كما أنها فتاة متعبدة طاهرة وعفيفة، وبعبارة أخرى مثالية لميس تدفعها إلى طلب الكمال في "أبعاد الإنسان الجوهريّة الثلاثة: الروح والعقل والجسد. إنها منجذبة إلى مثل أعلى رفيع"،⁽¹⁴⁾ لكنها على الرغم من ذلك، ستعرض إلى اضطهادات فضيعة سوف تبلور شخصيتها وتمنحها النضج الكافي لمواجهة الحياة في المستقبل.

سبب معاناة وصراع لميس هو والدها، الذي يظهر في البداية شخصا مرهفا يتمتع بحنان أبوي كبير، فقد ربي ابنته تربية شريفة، لم يبخل عليها بالحنان الفاضل؛ حتى أنه رفض الزواج قبل أن تبلغ لميس سن الرشد، كي لا يمس نموها النفسي السليم، لكن أيام الهناء سرعان ما اندثرت، بعد دخول سلوى إلى بيتهم الدافئ.

يتزوج الأب سلوى الفتاه الشريرة التي يعمى عن اكتشاف نوازعها الخبيثة. هي أحد أهم أطراف الصراع في الحكاية، والتي سيكرهها الطفل حتى من البداية. تمثل الإنسان الحقود، الظالم، الداهية التي تصبو إلى السلطة، لذلك تتصنع البراءة وتتودد إلى لميس متظاهرة بالمحبة والإخلاص كي تنال مآربها، وتحصل على ما تمنته طويلا. "فالمكر هنا فعال لأنه يتصل بمعرفة النفس، والخير هناك، عاجز، حسير، لأنه نوع من أنواع الجهل الذي يثمر العذاب والألم".⁽¹⁵⁾

توهم الأب الخير في فتاه تجسد الشر بأبشع صورته، ظنّها الزوجة المثالية والأم الصالحة لابنته اليتيمة التي عانت اليتيم في مرحلة مبكرة، لكنه كان مخطئا. لم تجرؤ سلوى على اضطهاد لميس علانية خوفا من غضب الأمير، فعمدت إلى أساليب شيطانية تغري الأب كي يرى في ابنته شخصا شريرا، فيبغضها ويبعدها عن قصره، وبذلك يتحقق هدف سلوى،⁽¹⁶⁾ التي تحسن التكيف حسب الظروف.

14- جان نعوم طنوس، التحليل النفسي لحكايات الأطفال الشعبية، دار المنهل، بيروت، ط1، 1995، ص12.

15- سيغوند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983، ص13.

16- كرم البستاني، لميس أميرة بيروت، ص13.

بدأت سلوى في تنفيذ خطتها للإيقاع بلميس، الفتاة البريئة، فقد طلبت من الخدم أن يقطعوا -بأمر كاذب من لميس- يد كل شاة أو عنزة وبقرة، ويرسلوا جميع ما يقطعونه إلى القصر لأن الأمير يريد أن يصنع منه طعاما شهيا، على أن سلوى خشيت أن يتمالك الأمير نفسه، فطلبت من الخادم أن يقطع -بأمر كاذب من لميس- عراقيب المهرة الشقراء التي يحبها الأمير حبا جما، هنا تظهر سلوى خبيرة بشخصية زوجها الذي فقد صوابه عندما رأى ما حل بأغنامه، وقد استقبلته متظاهرة بالغيظ وأخبرته بما جرى للمهرة الشقراء التي رأى عراقيبها مطروحة أمام القصر. عندئذ لم يتمالك نفسه، وصار لشدة غضبه في حالة لا يعي معها ولا يفكر، ولم يرغب في أن يرى لميس ويسألها عن هذه الأسباب التي دفعتها إلى مثل هذه الأعمال، لذلك أعطى أوامره ليقطع السيف يدي لميس ويطردها من القصر ولا يريه وجهها.

عندما سمعت لميس بقرار والدها -مستغربه- طلبت بدهاء رؤية أبيها فلم يأذن لها السيف طبقا لأوامر الأمير، سلوى من بعيد تضحك شامطة فعرفت أنها هي التي لفتت لها هذه التهمة، وأيقنت أن مؤامرة حيكّت ضدها بطلتها وحشي في جسد امرأة، إنها ليست إلا مسخا جهنميا تسيره أهواء الشر المخيفة.

استسلمت لميس إلى سلطة العقاب بعد تعنت والدها ورفضه مقابلتها، وأدركت أنها ستنتقاد إلى سيف الجلاد حتما، فقطع يدها عند معصمها وأرسلها تتوه في أزقة المدينة دامية اليدين والفؤاد. (17) إنه الولاء الذي تكنه لميس لوالدها، والذي منعها من التشفع له وطلب المغفرة على خطأ لم تعرف به ولم تقترفه.

لم تفقد لميس ثقتها بعالمها الذي كانت دائما تعيش فيه -وإن كان على مستوى لا وعيها فقط- ولم تجعلها هذه الحادثة تتحول إلى سلوى أخرى، على الرغم من العقاب القاسي الذي ألم بها والذي طعنها في صميم إنسانيتها. لقد اتكلت على الله كما تقول في القصة "فهو لن يهملها وكأن اتكالها على الله بث في نفسها الشجاعة والقوة فمسحت بكتفها دموع عينيها وأخذت تصلي بحرارة وخشوع، تسأل الله الرحيم أن يرأف بها ويعينها على الحياه". (18) وهي

17- المرجع نفسه، ص15.

18- كرم البستاني، لميس أميرة بيروت، ص17.

صورة الإنسان النبيل كما تصوره قصة الأطفال، لا تموت فيه بذرة الخير على الرغم من المصائب التي تساوره، فهو دائما يأمل في التغيير، في تبدل الظروف على نحو أفضل، فالأمل، إضافة إلى الصبر واتكاله على قوة عزيمة سامية، كل ذلك يسعفه في صراعه الدامي مع قوى الشر والظلام، ولذلك ينتصر في النهاية لأنه يؤمن بالمثالية التي تهبه القوة والصمود،⁽¹⁹⁾ وهي النهاية الحتمية لكل قصة بطلها شخص يتمتع بالأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية.

أمضت لميس ليلتها قرب النهر، وغرزت إلى النحر معصمها في الطين، وما إن طلع الصباح حتى أخرجت معصمها فرأت الدم قد انقطع فعزمت على تسلق الجبال غير آبهة بالحيوانات المفترسة التي تعمر بها الغابات. فلمحت مغارة سبق وأن زارتها مع والدها، فلبثت بين ثناياها إلى أن تقرر أين سترحل مرة أخرى.

تواجه لميس مرحلة جديدة في عملية نضجها النفسي والمعرفي، فتخرج من العلاقة البنوية إلى علاقتها بالجنس الآخر، حين مر الأمير بجانب المغارة في رحلة صيد، فيشاهد هناك غزالة فيتبعها محاولا اقتناصها، لكن الغزالة تدخل المغارة لتحتمي بها، فيلحق بها الأمير ليرى لميس ويتأكد أنها من بني البشر، فسألها عن سبب تواجدها في هذا المكان الموحش، فتخبره لميس بقصتها المفجعة، وأنها لجأت إلى هذه المغارة خشية خبث الناس وقسوتهم، وتكون النهاية كما هو متوقع -المتأمل الطفل أن تكون- أن الأمير يحملها إلى مدينته حيث يتزوجها بعد أن يستشير والدته، ويخبر والدها الأمير بحقيقه سلوى وبمكائدها تجاه لميس، ويطلب الأمير من السيف أن يقتل سلوى.

إن المرحلة الأخيرة التي تمر بها لميس تتعلق بعودة الصورة الوالدية الطبيعية إلى نقائها الأول، فلا بد من المصالحة في قصة الأطفال، وأن يفوز الخير على الشر، والعلم على الجهل، والنقاء على الخبث. وبالرغم من أن الأطفال هم أقل كفاءة -عموما- في مستوى القدرة الذهنية على التدقيق وكذلك في مستوى الخبرات والتجارب، إلا أنهم يميزون في مثل هذه المواقف بين الصحيح والخطأ، وينتصرون إلى حب الخير ونبذ الشر، وهذا ما نلمسه بعد نهاية كل قصة، وكأنهم يحققون ما يصطلح عليه أرسطو بالتطهير، و"هو

الانفراج المتولد عن أن الكوارث التي عانتها الشخصية البطلة، أو الشخصيات الثانوية لم يصبه شيء منها"؛⁽²⁰⁾ أي الطفل يتخلص من الشحنات السلبية والمكبوتات غير المرغوب بها جراء سماعه للقصة، ويحقق لنفسه التوازن العاطفي والاجتماعي المنشود، ويستسيغ كل ما هو جميل في الحياة، وتعلمه أيضا (القصة) كيف يحيا حياته على أحسن وجه طبقا لأعلى المستويات الممكنة. وسأركز على بعض النقاط الإيجابية التي تتولد عند الطفل بعد سماعه لقصص الأطفال أو قراءته على حد سواء.

7- دور القصة في تلبية الحاجات النفسية عند الطفل

- للقصة دور فعال في بناء الجهاز النفسي للطفل، عن طريقها يكتسب بعض القيم والفضائل، وبها يتخلى عن صفات سلبية كانت تعيش معه، ومن أهم هذه الصفات نجد:
- 1- غرس شعور المحبة والتعاون والإيثار والخضوع للحق في كل علاقاته وتصرفاته.
 - 2- يصبح الطفل قادرا على إدراك العلاقات بين الأشياء، ويبدأ في التطلع لعوالم أخرى.
 - 3- غرس محبة الإخوة وحب التعاون معهم، والتضحية من أجلهم والشعور بالرباط الأسرى والحرص على صلة الرحم واحترام الناس وتوقير الكبير.
 - 4- تطوير قدرات التواصل مع الآخر.
 - 5- القدرة على حل المشاكل التي تعترضه، وتحسين مهاراته الحياتية.
 - 6- يتحول الطفل من الخيال المحدود بالبيئة إلى الواقعية في خيالاته غير المحدودة، كما تتبلور لديه قيم أخلاقية كثيرة ومبادئ اجتماعية عبر تعامله مع الآخرين.
- وفي ختام هذه الورقة البحثية، يمكننا القول أن القصة، المسرحية، الأناشيد، الشعر وغيرها من الفنون الموجهة إلى الطفل، هي بمثابة اللعب التخيلي، وهي محفز أساسي لتطوير الإبداع عند الطفل، تخلق لهذا الأخير سلوكيات متوازنة بعيدة عن الغلو والشطط والانفعالات العاطفية الشديدة، كما تكون للطفل شخصية واعية تحسن القيادة.

المصادر المراجع

20- إيريك فروم، اللغة المنسية، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة: حسين قبيس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995، ص13.

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المراجع

1. أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2، 1998.
2. أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي، دار المعارف، القاهرة، ط1.
3. أحمد سويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985.
4. ألفريد أدلر، سيكولوجيتك في الحياة كيف تحياها؟ ترجمة: عبد العلي جسماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996.
5. إيريك فروم، اللغة المنسية، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة: حسين قبيس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995.
6. برونو بتلهام، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، دار المروج للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985.
7. جان نعم طنوس، التحليل النفسي للحكايات الأطفال الشعبية.
8. جان نعم طنوس، التحليل النفسي لحكايات الأطفال الشعبية ، دار المنهل، بيروت، ط1، 1995.
9. سيغ蒙德 فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983.
10. سيغ蒙德 فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، دار المعارف، القاهرة، ط1.
11. عبد الرحمن الوافي، مدخل إلى علم النفس، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2006.
12. عبد العزيز عز الدين السيروان، المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.

13. عبد المنعم المليجي وحلمي المليجي، النمو النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1973.

14. كرم البستاني، حكايات لبنانية، دار مارون عبود، بيروت، ط2، 1979.

15. مجلة آفاق، مجلة دورية يصدرها اتحاد كتاب المغرب، المغرب، العدد 28، 1988.